الأنتروبولوجي والإثنولوجي روبير مونتاني Robert MONTAGNE والتوثيق لأسباب ومناطق ومشاكل هجرة الجزائريين إلى فرنسا خلال الفترة 1950 – 1954

Anthropologist and Ethnologist Robert Montagne and documentation for reasons, areas and problems of emigration of Algerians to France during the period 1950-1954

د/ ليلى تيتة [1]، د/ مختار هواري [2]

[1] جامعة باتنة1، الجزائر leila.faycal@yahoo.fr : Mail

[2] جامعة باتنة1، الجزائر

تاريخ الاستلام:09 /2018/07 تاريخ القبول: 2018/09/18

الملخص:

المقال دراسة تحليلية لتقرير أعده الأنتروبولوجي والإثنولوجي الفرنسي روبير مونتانيي هذه المرة حول ظاهرة الهجرة الجزائرية نحو المتروبول خلال الفترة 1950- 1954 أي قبل اندلاع الثورة التحريرية. عثرنا على التقرير بأرشيف ما وراء البحار بأكس أون بوفانس وقد أعده الأخير ونشر من طرف طلبته بعد وفاته. الغاية من توضيح ما جاء في التقرير محاولة تتبع ما جاء فيه نقطة بهدف التعرف على مناطق هجرة الجزائريين إلى فرنسا وما سببته هجرة الجزائريين إلى فرنسا من مشاكل استدعت اللجوء إلى مونتانيي بهدف البحث عن الحلول لها، وكذا محاولة التعرف على المعاناة التي كان عليها الجزائريون بالمتروبول خلال الفترة نفسها.

الكلمات المفتاحية: هجرة؛ فرنسا؛ مشاكل؛ مونتانيي؛ دراسة.

Abstract:

This article is an analytical study of a report prepared by French anthropologist and anthropologist Robert Montagne about the phenomen of Algerian immigration towards the Metropolis during the period 1950 - 1954. We found the report on the Overseas Archives in Aix-en-Provence and was prepared by the latter and published by his student after his death. The purpose of the report is to try to follow, point by point, the areas of Algerian emigration to France, why, the problems caused by them. This are the reasons which necessitated the use of Montagne in order to find solutions to them during the same period.

Keywords : Immigration; France; Problems; Montagne; Study.

مقدمة:

الهجرة انتقال للفرد أو الجماعة من مكان إلى آخر بغرض الاستقرار في المكان الجديد، ويستثنى من ذلك الإقامة المحددة كما في حالات رحلات العلاج والسياحة. والمتصفح للتاريخ البشري يلاحظ أن الهجرة شملت شعوب العالم القديم، جماعات وفرادى. فلقد هاجرت شعوب من آسيا الوسطى إلى أوربا واستوطنتها، وأخرى من أوربا إلى آسيا وإفريقيا، وكان لشعوب الجزيرة العربية هجرات تاريخية إلى الشمال ومنه شرقا وغربا، كما أن معظم سكان أمريكا اليوم من المهاجرين الأوربيين والآسيويين وغيرهم.

كغيرها من الدول، عرفت الجزائر إبان الفترة الاستعمارية حركة هجرة واسعة جسدتها جماعات سكانية من مختلف الفئات والأعمار ومن مختلف مناطق القطر الجزائري،

وقد كانت هذه الأخيرة ظاهرة أفرزتها جملة من العوامل، وقد اتخذت الهجرة مسارات متعددة حيث انتقل بعض الجزائريين إلى تونس والمغرب، بينما فضل آخرون الاستقرار بالمشرق العربي متخذين من بلاد الشام موطنا لهم، على أن عددا هاما منهم اتجهت أنظاره إلى فرنسا، وقد يكون هؤلاء مدفوعين إليها لتوفر مجموعة من الشروط.

أثناء زيارتنا لأرشيف ما وراء البحار بأكس أون بروفانس بفرنسا، وفي سياق بحثنا عن وثائق تاريخية حول ظاهرة الهجرة الجزائرية إلى دول العالم إبان الفترة الكولونيالية، عثرنا على تقرير يحمل بخارجه عبارة "سري للغاية". بعد تصفح التقرير، اتضح أنه لأنتروبولوجي وإثنولوجي فرنسي سرعان ما تعرفنا على شخصه كونه مشهور بدراساته حول القبائل بمنطقة المغرب، لكن ما أدهشنا هذه المرة هو أن الدراسة ليست عن المغرب وإنما عن الجزائر، ومتى ؟. عشية اندلاع الثورة التحريرية ؟. تدرس ظاهرة الهجرة بالجزائر بناءا على طلب من السلطات العليا ؟. ماذا حوى هذا التقرير ؟. هذا ما سنحاول التعرض له بالتفصيل أحيانا وبالنقد والتفسير أحيانا أخرى.

1- نظرة تاريخية حول بدايات الهجرة الجزائرية إلى فرنسا:

تعود بداية الهجرة الجزائرية إلى فرنسا إلى سنة 1911 حيث كان عدد العمال المهاجرين لا يتعد 1000 جزائري في فرنسا. وقد توزع المهاجرون الأوائل على مناطق مختلفة من التراب الفرنسي، لكن الأغلبية منهم تمركزت حول المناطق الصناعية. بحلول سنة 1912 تضاعف عددهم إلى 5000 منهم 2000 في منطقة مرسيليا وحدها (في مصفات ومرافئ ومعامل الصابون) وحوالي 1500 في المناجم ومعامل الصلب والحديد في بادكاليه، أما في باريس، فكان بعض المئات منهم يعملون في مصفاة ساي وكذا في مشاغل المحروقات بالعاصمة. ما يلاحظ هنا هو قلة العمال المهاجرين في هذه الفترة لإجبارية الحصول مسبقا على رخصة السفر لكل راغب في الهجرة والتي أقرها مرسوم الوالي العام في الجزائر بتاريخ 16 ماي 1876 وبقي هذا القانون ساري المفعول رغم ما قدمه الجزائريون من تضحيات جسام لصالح فرنسا في حرب 1870 مع بروسيا وذلك باعتراف الفرنسيين أنفسهم حيث كان أول من رفع الراية الفرنسية على بلدية ستراسبورغ جزائري ومات منهم الآلاف. لم يلغ

هذا القانون إلا في 15 جويلية 1914 لسبب حاجة فرنسا لليد العاملة الرخيصة للعمل في مصانعها لمجابهة أعباء الحرب العالمية الأولى. ومن ثم أصبح التنقل بين الجزائر وفرنسا حرا.[1]

قبيل اندلاع الثورة التحريرية، شكلت هذه الهجرة الغير مقيدة ضغطا على الإدارة الاستعمارية الفرنسية التي وجدت نفسها أمام واقع جديد تمثل في تزايد عدد المهاجرين الجزائريين الذي وصل عددهم سنة 1954 إلى ما يقارب 320.000 مهاجر تقريبا يشكلون سبع السكان الجزائريين البالغين، وحجم تحويلاتهم إلى الجزائر التي مثلت ثلث ميزانية الجزائر وربع كتلة الأجور التي تدفع في الجزائر بالقطاع الإنتاجي، ضف إلى ذلك نمط معيشة المهاجرين الجزائريين في فرنسا وانزعاج عدد من سكان الميتروبول من سلوكاتهم غير المألوفة في أوساطهم وخشية الإدارة الاستعمارية مما قد ينعكس عليها، ولمواجهة هذه الظروف الاستثنائية ومعرفة أسبابها ومسبباتها لجأت السلطات الاستعمارية الفرنسية إلى روبير مونتانيي ليعد لها دراسة وافية حول ذلك. فمن هو مونانيي ؟ ما فحوى دراسته ؟ ما النتائج التي توصل إليها ؟ .

1 – منطلقات الدراسة :

1-1– التعريف بروبير مونتانيي[2] Robert MONTAGNE :

روبير مونتانيي من كبار المستشرقين، أنتروبولوجي وإثنولوجي فرنسي من مواليد 19 جوان 1893 بمونس Mans (سارت Sarthe)، متخصص في المجتمعات الأمازيغية بشمال إفريقيا عامة والمغرب الأقصى خاصة والذي ألف حوله العديد من الكتب[3]. بعد حصوله على الشهادة الثانوية، انتقل مونتانيي سنة 1911 إلى المدرسة الحربية ليزاول دراسته هناك، ويكمل دروسه التطبيقية بالفترة من 1913 إلى 1914 على متن سفينة جون دارك Jeanne d'Arc في رحلة جاب فيها العالم وصولا إلى كراتشي. بعد عودته الى فرنسا بقليل، اندلعت الحرب العالمية الأولى فعين على إثرها ضابطا على متن مدمرة حربية. بنهاية الحرب، تحول إلى مهمة تعليم الضباط[4]، ثم استدعي إلى المغرب للعمل في المسح الطوبوغرافي، واختاره المقيم العام الفرنسي بالمغرب المارشال ليوطي ليكون مستشارا له فيما يخص القضايا القبلية، وقد لعب دورا بارزا في استسلام عبد الكريم الخطابي، كما قام بدراسات إثنولوجية

حول سكان المغرب. عين في الفترة من 1924 إلى 1930 محاضرا في معهد الدراسات العليا المغربية في الرباط بالمغرب واستكمل دراسته فحصل على شهادة الدكتوراه سنة 1930 تخصص الانثروبولوجيا السياسية حيث نشر كتابه : البربر والمخزن في جنوب المغرب ضمن سلسلة أعمال دورية السنة السوسيولوجية L'Année sociologique التي اعتبرت مصدرا غنيا ومستمرا للإنتاج العلمي حتى وفاة المؤلف[5].

شغل روبير مونتانيي عدة مناصب على رأس مؤسسات إدارية وعلمية من ذلك :[6]

مكاتب الشؤون الأهلية، والمعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق (IFEAD)، ومركز الدراسات العليا للإدارة الإسلامية Centre des hautes études d'administration musulmane (CHEAM) الذي أنشأه سنة 1936 وسيره حتى وفاته وقد تحول اليوم الى مركز الدراسات العليا حول أفريقيا وآسيا الحديثتين. كما عين أستاذ تعليم عالي في مدرسة فرنسا Collège de France سنة 1948 ليكرس حياته أواخر أيامه للمغرب بقيامه بتحقيقين حول تحركات السكان. توفي في 26 نوفمبر 1954 بنويلي سير سان Neuilly-sur- Seine (أعالي السين Hauts de Seine).

من مؤلفاته :[7]

1930: البربر والمخزن في جنوب المغرب Les Berbères et le Makhzen dans le sud du Maroc من 422 صفحة.

قرى وقصبى بربرية Villages et Kasbas berbères من 22 صفحة.

1947: حضارة الصحراء La civilisation du désert : nomades d'orient et d'Afrique من 267 صفحة.

1952: ميلاد البروليتاريا المغربية Naissance du prolétariat marocain من 291 صفحة.

من مجموع الكتب التي سبق ذكرها، اشتهر مونتانيي خلال الفترة الاستعمارية بكتابه حول البربر والمخزن جنوب المغرب، أما اليوم فقد أثار الكتاب بمحتواه جدلا واسعا

وسط الأوساط الأكاديمية الأنثروبولوجية المغربية خاصة بخصوص كيفية تناوله للموضوع وصنف ضمن النظرة الكولونيالية للقبائل المغربية.

جراء الدراسة التي تضمنها الكتاب خلال الفترة الاستعمارية والتي وصفت من طرف الأكاديميين الفرنسيين بالقيمة جدا، تقدم وزير الداخلية الفرنسي لتلك الفترة شارل برين Charles BRUNE وطلب من روبير مونتانيي العمل على إدارة تحقيق علمي حول هجـــرة عمـــال الجـزائر (الجزائريين المسلمين) نحو فرنسا (المتروبول)، وقد كان الغرض من ذلك وضع حل للمشاكل التي يطرحها وجود حوالي 320.000 منهم بالأراضي الفرنسية من حيث مناصب الشغل، التكوين المهني، السكن، الضمان الإجتماعي والتربوي...

1-2- منهج التحقيق ونطاقه : [8]

شمل تحقيق مونتانيي دراسة حالة الهجرة بـ 15 بلدية مختلطة (قرقور، البيبان، سدراتة، أم البواقي، العلمة، شاتودان، تيزي وزو، فور ناسيونال،...)، وقد كان المجموع دراسته لحالة الهجرة في حوالي 15000 قرية أو فئة Fraction .

انطلق التحقيق سنة 1952 في الوجهتين : الجزائر والمتروبول وانتهى سنة 1954. بدأت زيارته للجزائر خريف 1952 واستمرت طيلة 1953. وبحلول ربيع 1954، استطاع مونتانيي جمع معلومات هامة بعد زيارة لمنطقة القبائل أين مكث هناك مدة شهرين تعرض على إثرها لمرض شديد.

لتوجيه عمله بالجزائر، اتصل بالسلطات المحلية وعمل على تصفح الدراسات السابقة الخاصة بالأمر والتي تعود للفترة ما قبل 1950، والتحقيق في الدراسات الوافية التي أعدها إداريو المصالح المدنية حول الهجرة في بلدياتهم المختلطة خلال الفترة 1950-1953، كما ركز على الجرد الاسمي المعطى حول حال الهجرة بكل بلدية مختلطة عائلة بعائلة، قرية بقرية، فئة بفئة، دوار بدوار، وعلى الجداول الإحصائية المبينة لمكان استقرار المهاجرين بفرنسا، وظيفتهم، مكانها والوضعية الاجتماعية لعائلات المهاجرين، وكذا حركات الذهاب والإياب... أما بفرنسا فقد حصل على مجموعة تقارير من اللجنة الجهوية للعمل واليد

العاملة للدائرة الأولى بباريس وعلى القوائم المتوفرة لدى مصلحة العمل الصحي والاجتماعي للصندوق المركزي الأول للحماية الاجتماعية والتي تناولت اليد العاملة الشمال إفريقية في كل المؤسسات بدون استثناء مهما كان عدد هذه الفئة في المؤسسة، وقد تميزت هذه التقارير بالدقة في العرض والتحليل حيث يظهر في الفئة الأولى الرقم التسلسلي لكل عامل ثم يبين مكان أصوله [9]، أما الفئة الثانية فتظهر بها أدلة توضيحية عن كل مؤسسة تبعا لنشاطها ومساهمة المهاجرين فيها وكذا فروعها المهنية الأساسية مع توضيح عنوان المؤسسات والعمال وإبراز أماكن عملهم ومناطق إقامتهم.

بعد صراع مع المرض، استطاع في صيف 1954 تحرير تقريره : تقرير مؤقت حول المميزات الجزائرية للهجرة Rapport provisoire sur les aspects algériens de l'Emigration [10]. كان من المفروض أن يقوم بتحرير تقرير آخر حول : المميزات الميتروبولية للمشكل Rapport sur les aspects métropolitains du problème وإخراج كتاب على نفس شاكلة الكتاب الذي أعده عن المغرب الأقصى، لكنه توفي في 26 نوفمبر 1954. جمع مساعدوه في التحقيق مجموعة أعماله في تسعة كراريس عنونوها : دراسة سوسيولوجية لهجرة العمال المسلمين للجزائر نحو المتروبولEtude Sociologique de la migration des travailleurs musulmans d'Algérie en métropole، تولت إدارة مصلحة شؤون الجزائر التابعة لوزارة الداخلية : مكتب الشؤون الاجتماعية الإسلامية عملية طبعها.

2- نتائج التحقيق من حيث مناطق الهجرة الجزائرية نحو المتروبول ومميزات المهاجرين منها : [11]

صنف مونتانيي مختلف مناطق الهجرة الجزائرية نحو فرنسا من حيث قدم الهجرة بها، أهميتها و طبيعتها إلى :

- منطقة القبائل الكبرى
- منطقة القبائل الصغرى.
- منطقة الهضاب العليا بنواحي قسنطينة والجزائر.

– مناطق الهجرة الضعيفة والمتفرقة.

– مناطق المدن الصغرى والكبرى ومراكز الاستعمار.

بعد ذلك أعد دراسة خاصة حول كل منطقة مركزا على منطقة القبائل الكبرى والصغرى.

2–1– مميزات الهجرة بمنطقة القبائل الكبرى :[12]

شملت منطقة القبائل الكبرى في دراسة مونتانيي تيزي وزو وبومرداس وجزء كبير من البويرة.

قدرت الإحصاءات عدد المهاجرين من هذه المنطقة نحو فرنسا بنحو 60.000 مهاجر خلال فترة الدراسة. أما عن ما يميزه هذه الهجرة فهو قدمها مقارنة بالهجرات من المناطق الأخرى (إذ بدأت منذ سنة 1916)، وتنظيمها المحكم، وطبيعتها المؤقتة (بمعدل سنة ونصف إلى سنتين)، يقوم بها الرجال لوحدهم (بين أغلبية متزوجة وأقلية عزباء) دون النساء اللواتي تكاد تكون هجرتهن معدومة. يتمكن هؤلاء الرجال بعد ذلك من التعرف على نسوة بالغربة يتزوجوا بهن مما يجعلهم يتخلون عن زوجاتهم بالوطن. يشكل المهاجرون من هذه المناطق بالمهجر عمالا من كل مناطق القبائل الكبرى وكذا تجارا أصحاب مقاهي وفنادق وتجارا متجولين مصدرهم منطقة فور ناسيونال بالدرجة الأولى... هدف الهجرة بالنسبة لهؤلاء العمل على تحقيق ادخار في الدخل من فرنسا بنحو 90 بالمائة من أجل تحسين الوضعية الاجتماعية للعائلة بالجزائر[13]، أما نسبة البطالة في صفوفهم فلا تتجاوز 05 بالمائة. من تجده دون عمل تجده ينتظر أن يعوض مكان شخص سيعود الى أرض الوطن.

2–2– نمط الهجرة بمنطقة القبائل الصغرى :[14]

شملت منطقة القبائل الصغرى في نتائج تحقيق مونتانيي بجاية وأجزاء كبيرة من بومرداس، برج بوعريريج، سطيف و جيجل. وقد خص التحقيق قبائل ندرومة – مغنية، منطقة رونو– مازونة– التنس، المنحدر الجنوبي للقبائل الكبرى لجرجرة (البلديات المختلطة لمايو، آقبو، الصومام، قرقور، البيبان)، واد المرسى، تاقيتونت، المسيلة، المعاديد والأوراس

وقد أضاف لها واحات بسكرة، توقرت، ورقلة. وقد قدر عدد المهاجرين من هذه المنطقة بنحو 90.000 شخص.

الميزة الأساسية للهجرة من هذه المنطقة هي أنها هجرة قديمة أقدم من الهجرة بالقبائل الكبرى وأكثر تنظيما منها، يحرص فيها رب الأسرة على أن يكون دائما متواجدا إلى جانب أسرته. وعلى هذا الأساس، ترافق العائلة الفقيرة رب الأسرة إلى فرنسا خوفا من زواجه أو الانصهار في البوتقة الفرنسية. هدف هجرة هؤلاء شبيه بذلك الخاص بالقبائل الكبرى والميزة الأساسية لهؤلاء الحرص على التجميع.

2-3- نمط الهجرة بمنطقة الهضاب العليا بنواحي قسنطينة والجزائر :[15]

شملت منطقة الهضاب العليا بنواحي قسنطينة والجزائر في نتائج تحقيق مونتانيي المناطق المحصورة بين جنوب فيليب فيل والعاصمة باستثناء المناطق الجبلية التي تم دمجها في مناطق الهجرة بالقبائل الصغرى.

قدرت الإحصاءات عدد المهاجرين من هذه المنطقة نحو فرنسا بنحو 60.000 مهاجر. أما الميزة الأساسية للهجرة منها فهي طابعها الحديث (إذ بدأت منذ 1935) والغير منظم والذي لا يعرف تقاليد مرسخة في ذلك. بحكم هذه الهجرة المتأخرة، لم يستطع الوافدون من هذه المناطق التركز والسكن بالمدن الكبرى بفرنسا، وهي المناطق التي كانت من نصيب الفئتين الأولتين أين تركزوا بها ودافعوا عن وجودهم فيها. أما الوظائف التي رضي بها أصحاب مناطق الهضاب العليا فلم تتعد العمل في الورشات الكبرى والأشغال العمومية، لم يوظف منهم بالمصانع سوى 20 إلى 30 بالمائة، أما من بقي فبطالين وصلت نسبتهم إلى 40 نحو 50 بالمائة. نسبة العزاب عندهم هي الأكبر، كما لم تسجل في صفوفهم البتة ظاهرة الزواج المختلط، غلب على هجرتهم طابع الهجرة الموسمية حيث يعود هؤلاء إلى أرض كل سنة ويتحولون بعدها إلى فرنسا بداية فصل الشتاء. كل هذه المؤشرات هي ميزة الهجرة المتأخرة التي لم تحدد لها معالم تواجدها واستقرارها من عدمه، غير أن ما لوحظ بخصوصها هو تناميها السريع جدا.

2-4- مناطق الهجرة الضعيفة والمتفرقة :[16]

شملت منطقة الهجرة الصغيرة في نتائج تحقيق مونتانيي المنطقة المحصورة بين الحدود التونسية وجنوب فيليب فيل، أو بين جنوب الجزائر ومنطقة تلمسان.

قدرت الإحصاءات عدد المهاجرين من هذه المناطق بـ 5 إلى 10.000 شخص وقد كان من أهم ما ميزهم العدد القليل منهم الذي ينتقل من أي بلدية صوب فرنسا حيث لا يتجاوز ذلك العشرات أو المئات من الأشخاص، ينتشر هؤلاء في كل أنحاء فرنسا، لا يعرفون طابع التجميع، وهم ببساطة مهاجرون مغامرون ليس لديهم ارتباطات عائلية، إنما أشخاص يذهبون لوحدهم وعادة ما لا يرجعون.

2-5- مناطق المدن الصغرى والكبرى ومراكز الاستعمار :[17]

ما لاحظه مونتايي بالنسبة لمناطق التواجد الاستعماري بالمدن الكبرى والصغرى والبلديات ذات الصلاحيات التامة هو أن هذه الأخيرة لا تمثل مناطق لهجرة كبيرة، حيث قدرت الإحصاءات عدد المهاجرين من هذه المناطق بنحو 2000 عائلة. الميزة الأساسية للهجرة من هذه المدن هي أن ما يحددها هو إغراءات المنح العائلية. ميزة هؤلاء المهاجرين اعتيادهم على الحياة إلى جانب الفرنسيين بحكم الاختلاط بهم في الوطن الأم والمعرفة المسبقة والقليلة للغة ولظروف العيش. ما يميز هذه الهجرة انتقال الولي بعائلته إلى فرنسا. حكم مونتايي على هذه الفئة من المهاجرين بالنوعية الجيدة وقد قدر لها في تقريره البقاء بفرنسا، وأنها ستشكل نمط الهجرة الذي سيتخذ شكل الاستقرار النهائي.

قد يتفق التقسيم الذي قدمه مونتايي مع إحصاءات قدمت لنسبة المهاجرين عبر أرض الوطن إلى فرنسا خلال نفس الفترة في دراسة قدمت:

60 % عن منطقة قسنطينة، 30 % عن العاصمة و 10 % عن وهران . [18]

3- نتائج التحقيق من حيث ميكانيزم ومميزات الهجرة الجماعية نحو فرنسا : [19]

في هذه النقطة، ركز مونتانيي على دراسة مراكز تموقع المهاجرين بفرنسا، العمل الممارس، طريقة التجمع، وطبيعة التضامن الموجود في فرنسا نفسها بين نفس الفئة من

المهاجرين من نفس الجذور. لتحقيق ذلك، ركز دراسته على منطقتين تناولهما دوار دوار، قرية قرية، فئة:

– من الشمال إلى الجنوب من تيقزرت إلى قمة اوقاس على السواحل إلى منطقة المسيلة– المعاديد المجاورة للمناطق القريبة من الصحراء.

– من الشرق إلى الغرب من البلدية المختلطة لسدراته إلى برج بوعريريج.

3-1– ميكانيزم ومميزات الهجرة من القبائل الكبرى والصغرى :

تميز نتائج تحقيق مونتانيي بهذه المناطق بين القرى الكبرى والقرى الصغرى من حيث عدد السكان وطبيعة التضامن الموجود بين الجماعة المؤلفة لكل قرية.

في تحقيقه، توصل مونتانيي إلى أن لسكان القرى الكبرى سياستهم الخاصة في الهجرة على اعتبار قدم الهجرة بها، كما وأن لهم مناطق محددة يهاجرون إليها. السبب الأساسي في ذلك العدد الكافي من السكان إذ تضم الواحدة 1500 إلى 2000 ساكن، التنظيم العائلي والقروي المحكم، فكلما كان هذا الأخير قويا في الجزائر انعكس ذلك على (المستعمرة) بفرنسا والعكس صحيح. أما بالقرى الصغرى، فالملاحظ هو تجمع المهاجرين بفرنسا من خمس وست قرى متجاورة بالجزائر في مركز استعماري واحد محدد، السبب الأساسي في ذلك أيضا هو التنظيم العائلي المحكم. وقد قدم مونتانيي مثل البلدية المختلطة للبيبان التي يتجمع مهاجرو قراها في جينوفيليي Gennevilliers والدائرتين الثامنة عشر والثالثة عشر من باريس. كما قدم مثال الجماعة الريفية لقرقور المتكونة من 128 عضو منهم 127 عامل متمركزين في حي من لوفالوا Levallois يقدمون عنوانا واحدا لرسائلهم هو مقهى لأحد منهم. وعليه، قدرت الإحصاءات عدد الموزعين في فرنسا والذين هم من قرى قبائلية منظمة جيدا بالجزائر بنحو 5 إلى 10 بالمائة.

ما يميز نمط التمركز عند هؤلاء أيضا هو اجتماعهم في بعض المنازل بشارع يجدون فيه المقهى الخاص به. يلتقي المهاجرون الجدد من المنطقة بالقدماء في المقهى المخصص لهؤلاء، كما ينعم المهاجرون الجدد بعلاقات أخوية في حالة المرض أو عدم العمل أو الموت

مع المهاجرين القدماء. بينما ينسى المهاجرون القدماء ألم الفراق والغربة بوصول الوافدين الجدد الذين يحملون الأخبار والرسائل.

حول هذه المراكز(الاستعمارية) يوجد المصنع الذي نحاول أن نجد عملا به. بمجرد وصول الوافد الجديد إلى المركز، تبدأ التحركات بغرض البحث له عن عمل وعادة ما يكون بالمصنع القريب الذي يعمل به الكثير منهم.

عرفت فرنسا خلال هذه الفترة تشكل العديد من المستعمرات – حسب تعبير مونتانيي– على هذه الشاكلة، بها مئات الأشخاص من نفس الجهة مهاجرين يتجددون دائما ما عدا 10 إلى 15 بالمائة لأنهم استقروا بفعل الزيجات المختلطة أو أنهم لا يستطيعون العودة.

يخلص مونتانيي في الأخير إلى القول أن تضامن الجماعة هو الذي يحدد ميكانيزم التمركز داخل المستعمرة والعمل المتوفر وليس القدرات الخاصة، وأن كل مستعمرة تسعى للدفاع عن من هم منها.

2-3- ميكانيزم ومميزات الهجرة من الهضاب العليا :

توصل روبير مونتانيي في تقريره حول الهجرة بين سدراتة وبرج بوعريريج إلى أن هذه الهجرة وبحكم حداثتها غير منظمة. وعليه، عادة ما لا يجد الوافد الجديد عملا هناك. أرجع السبب الأساسي فيه إلى أن هؤلاء يذهبون هكذا دون تحضير مسبق لغياب الروابط العائلية والوحدوية التي تميز المناطق السابق ذكرها. عدم توفر مصانع لم تحتلها اليد العاملة القبائلية. وعليه، وجد مونتانيي أن 30 إلى 40 بالمائة من هؤلاء ليس لهم عناوين معروفة لانتقالهم المتواصل بين المناطق التي توفر مناصب للعمل.

انتشر مهاجرو هذه المناطق في الشمال والشرق وجنوب شرق فرنسا دون باريس، اشتغل نحو 60 إلى 75 بالمائة منهم بالأشغال العمومية والورشات الكبرى .

4- التوزيع العام للمهاجرين الجزائريين في الدوائر الباريسية : [20]

4-1- من حيث الإقامة:

بالعاصمة الفرنسية باريس التي خصص لها حيزا هاما من دراسته، لاحظ مونتانيي أن توزيع إقامة المهاجرين الجزائريين بها يختلف من دائرة لأخرى حيث يتمركزون في الدائرة 18 بنسبة تقدر بـ (13,26%) ثم تليها الدائرة رقم 19 ثم بعدها الدائرة 20 ثم الدائرة 13 في حين لاحظ أيضا أن نسبه المقيمين بدوائر أخرى منخفضة جدا مثل الدائرة رقم 8 ورقم 7 ثم 16 ثم 9 وفق الجدول الموضح في الملاحق. [21]

عن توفر مقرات الإقامة لهؤلاء بمكان عملهم، أشارت الأرقام إلى أن العمال الذين يعملون في باريس لا يقيم منهم في نفس دائرة العمل إلا ما نسبته 18.4 % فقط، أما البقية الذين يعملون خارج دائرة الإقامة فغالبيتهم يأتون كل مساء من أماكن بعيدة لإيجاد شقة في باريس لافتقادهم إلى الإقامة العائلية حيث تركوا زوجاتهم وأبنائهم في وطنهم الأصلي. وقد أحصت شرطة المقاهي بباريس خلال هذه الفترة حوالي 2000 مؤسسة إقامة منها 793 مقهى و 815 نزل و 365 إقامة مختلطة، أما الدائرة الباريسية 19 فقد حوت أكثر من 200 مقر، ما ميز معظمها أنها غير صحية، يقتسم خمسة إلى ستة مهاجرين فيها غرفة واحدة، يسددون ما بين ألفين وثلاثة ألاف فرنك للشخص الواحد، وينامون في دهاليز أو مآرب وهكذا عاش هؤلاء ظروفا لا إنسانية حالت دون اندماجهم مع العمالة الأوربية.

4-2- من حيث أصولهم: ينحدر أغلب القاطنين بالدوائر الباريسية من منطقة القبائل بمعدل الثلثين من مجموع المهاجرين الجزائريين، وتتأتي منطقة القبائل الصغرى (بجاية) في المقدمة بمعدل أكثر من الثلثين، ثم القبائل الكبرى بمعدل أقل من الثلثين والسبب قدم هذه الهجرة، بالإضافة إلى عوامل أخرى منها: صعوبة الوسط الطبيعي الجبلي لمنطقة القبائل الذي يتميز بشح الموارد وبالتالي فهي منطقة طاردة، كما أن التنظيم الإجتماعي للقبائل والمبني على أساس التضامن شجع مهاجري المنطقة على مساعدة المهاجرين الجدد من

المنطقة وتذليل الصعاب أمامهم. تلي منطقة القبائل منطقة سطيف بمعدل1/12 ثم تليها منطقة تلمسان بمعدل1/20.

وهكذا يظهر تأثير أصول المهاجرين جليا في أوساطهم فهم عادة ما يقيمون في نفس الدائرة مع أبناء منطقتهم، بمجرد وصول المهاجر من الجزائر، يتجه مباشرة إلى المقهى المسيرة من أحد الأقارب أو الأصدقاء، وتكون المقهى غالبا المركز الذي يتعلم فيه الوافد الجديد، وهي عنوانه الذي يرسله لأهله، ومقر لاقتراض الأموال وأحيانا للبحث عن شقة للإيواء أو لإيجاد منصب عمل وهكذا فالّذين ينحدرون من منطقة تيزي وزو مثلا يتمركزون في الدائرة الخامسة عشر بنسبة 53 % وفي الدائرة الثالثة بنسبة 47%، و في الدائرة الثالثة عشر والدائرة العاشرة بنسبة 43 %، أما البجاويون فيتمركزون في الدائرة الثانية عشر بنسبة 61.7 % ثم بالدائرة 20 و الدائرة 19، ويتمركز العاصميون بالدائرة 8 والأوراسيون بالدائرة 18 وسكان منطقة الصحراء بالدائرة 8 والقسنطينيون بالدائرة 6 .

4-3- من حيث وظائفهم: إمتهن العمال الجزائريون في باريس خلال هذه الفترة الأشغال الأكثر صعوبة والتي تدرج ضمن مهن الدرجة الثانية مثل مهنة البناء والأشغال العمومية بنسبة 49.2 % والتي لا تحتاج إلى معرفة كبيرة أو تكوين، ثم الصناعة الميكانيكية بنسبة 20,9 % ثم الصناعة الغذائية بنسبة 7,2 % في حين تتراوح نسب باقي المهن ما بين 3,5 و 0,5 %، أما قطاع الكيمياويات فلم يعمل به سوى 320 عاملا من مجموع تعداد العمال الجزائريين في باريس الذي قدر ب: 23185 عاملا في حين وظف قطاع النسيج 112 عاملا أي ما نسبته 0,5 %، واشتغل في قطاع النقل حوالي 698 عاملا بنسبة 3 % أما البقية فوظفوا كمساعدين في الفنادق والمقاهي – حيث اشتغل في الفنادق والمقاهي وحدها حوالي 559 عاملا- أو بائعين متجولين، وهكذا فقد احتلت العمالة الجزائرية في سوق العمل أسفل السلم، وذلك لأسباب موضوعية من جهة، فهم في غالبيتهم أميين ودون تكوين مهني ولا خبرة في العمل الصناعي، ولأسباب أخرى من جهة ثانية تمثلت في سياسة الإدارة الفرنسية التي لم تسع لتكوينهم وتعليمهم ليحسنوا من وضعهم المهني والاجتماعي.

5- الخصائص العامة للهجرة الجزائرية نحو فرنسا :

من خلال ما سبق، ومن خلال تحاليل أخرى، توصل روبير مونتانيي في تقريره بخصوص خصائص الهجرة الجزائرية إلى فرنسا إلى مجموعة من النتائج يمكن حصرها في التالي:

- تعد الهجرة الجزائرية هجرة مؤقتة موسمية ترتكز على الذهاب والإياب حيث يعود المهاجر عادة إلى وطنه في فترة حراثة الأرض أو جني الزيتون وفي شهر رمضان.

- تمس هجرة الجزائريين الرجال دون النساء حيث تبقين في الجزائر مع شيخ العائلة أو الوصي.

- تتراوح أعمار المهاجرين الجزائريين في معظمها ما بين 20 و 30 سنة ويشذ مهاجرو القبائل عن القاعدة إذ تصل أعمارهم إلى 40 سنة.

- تعتبر الهجرة الجزائرية قديمة بالنسبة للبربر وجد حديثة للعرب. فسر التقرير سبب ذلك بالقول أن البربر في منتصف القرن العشرين كانوا يعيشون في مناطق جبلية ضيقة وبكثافة سكانية عالية فاتجهوا صوب المدن ثم نحو المخفضات المتوسطية وأخيرا إلى أوربا لتحسين دخلهم الضعيف.

- وصف التقرير المهاجرين من القبائل و الأوراس بالقناعة حينما يتعلق الأمر بلقمة العيش، يتميزون بسهولة الاعتياد على العيش في مجموعات والتأقلم مع نمط حياة البلد المستقبل. ويتحامل معد التقرير على المهاجرين الجزائريين من أصول عربية حيث يعتبرهم كسالى ورعاة اضطروا للهجرة تحت رحمة الحاجة لتغطية متطلبات حياتهم.

- أشار التقرير إلى أن هجرة المهاجرين القدامى كانت باتجاه المصانع أما هجرة الجدد فهي غير متخصصة، استطاع القدامى تثبت أنفسهم وشكلوا تجمعات مهمة وسيطروا على أماكن العمل لصالح قبيلتهم أو دواويرهم وبذلك حُرم المهاجرون الجدد من فرص الإقامة والعمل إذا لم يكونوا من نفس القرية أو الدوار. وهكذا، عادة ما صاحبت المهاجر إلى فرنسا من المهاجرين الجدد عملية توجيه حيث يقرض مالا بفائدة كمرحلة أولى وبعد ذلك

يقوم بإرسال الحوالة وعندها يعد رجلا ذا مكانة، وعادة ما يكون المقرض أحد الأصدقاء في الغرفة والذي يوجهه ويحثه على أن يحفظ ماء وجهه .

خـــاتمة :

لقد حاول روبير مونتانيي من خلال تقريره تحديد نمط وميكانيزم الهجرة من الجزائر بغرض تقديم حلول للمشاكل المطروحة بفرنسا، وقد توصل في نهاية بحثه الى:

– الهجرة الجزائرية نحو المتروبول هجرة قديمة بدأت بعد الحرب العالمية الأولى وتزايدت بعدها بقوة خاصة بعد إلغاء فكرة ضرورة وجود ترخيص لذلك.

– لقد تركزت الهجرة في الجزائر من المناطق الأكثر فقرا التي تعاني ظروفا طبيعية ومعاشية صعبة.

– لا تعرف مناطق التواجد الاستعماري والبلديات ذات الصلاحيات التامة حركة هجرة واسعة مثلما تعرفه البلديات المختلطة.

– يعتبر عدد النساء المهاجرات قليل إذا ما قورن بعدد المهاجرين من الرجال.

– يتركز المهاجرون من بلاد القبائل بفرنسا بالمناطق التي تعرف تواجدا مكثفا للقبائليين بحكم علاقات التجمع التي تميز هؤلاء والرابطة القوية بينهم أضف الى ذلك قدم هجرتهم إذا ما قورنت بالهجرات من المناطق الأخرى.

– كلما كانت الهجرة أقدم كلما كانت منظمة أكثر، وكلما كانت هناك روابط عشائرية أكبر كلما زادت الهجرة أكثر.

– يعاني الوافدون الجدد في المتروبول من مشاكل عدة جراء حداثة هجرتهم وعدم وجود تقاليد راسخة في ذلك.

– لم يتوصل مونتانيي إلى إكمال دراسته حول ظاهرة الهجرة بالجزائر ولم يتوصل الى كتابة كتاب حول القبائل الجزائرية على نفس شاكلة كتابه الخاص بالمغرب الأقصى بحكم وفاته المبكرة .

- حث مونتانيي في خاتمة ما توصل إليه في بحثه حول ظاهرة الهجرة بالجزائر السلطات الفرنسية على تحسين نمط العيش بالجزائر بالمناطق التي تعرف هذا النوع من الهجرة لاعتقاده بأن الوصول إلى الدواء لن يكون إلا باستئصال الداء.

❖ هوامش البحث

[1] – علي تابليت(1999)، **الصراع بين الذاكرة والتاريخ في الذكرى 37 لمعركة 17 أكتوبر 1961**، مجلة أول نوفمبر، عدد 160، الجزائر: المنظمة الوطنية للمجاهدين، ص. 24.

[2] – أنظر الملحق رقم1، https://www.google.com/imgres?imgurl .

[3] – محمد أرجدال، "الأنثروبولوجي والإثنولوجي الفرنسي روبير مونتاني"، الحوار المتمدن، العدد: 4245، بتاريخ 14-10-2013، أنظر الرابط: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=382345 (2018/09/10)

[4] - Robert Santucci, « Robert Montagne (1893-1954): Un sociologue au déclin de l'Empire », Revue Française d'Histoire d' Outre-Mers ,1993, p. 443.

أنظر الرابط:http://alustathiq.com/Arabic/CMS.php?CMS_P=4(2018/09/07)

[5] – محمد أرجدال، المرجع السابق.

[6] - Robert Santucci, Op.Cit,p. 445

[7] - http://www.aranthropos.com/

[8]-FR CAOM 81F/73. Étude sociologique de la migration des travailleurs musulmans d'Algérie en métropole, sous la direction de Robert Montagne (1959).

[9]– الرقم التسلسلي: تم ترقيم المقاطعات الثلاث للجزائر ومقاطعة الجنوب بأرقام 91 ،92، 93 ثم 94 ثم توضع أرقام موالية توضح البلديات الأصلية في الجزائر .

[10] – أنظر الملحق رقم 02 FR CAOM 81F/73, Op.Cit.

[11] – أنظر الملكق رقم 03 Ibid.

[12]-Ibid, p.04.

[13] – في الوقت الذي كان فيه العامل الزراعي في الجزائر يتقاضى 407 فرنك عن 12 ساعة عمل، بفرنسا، وفي نفس الشروط، كان العامل الجزائري يتقاضى 1216 فرنك أضف لها المنحة العائلية. أنظر: Tayeb Belloula(1965), Les Algériens en France, Alger: Editions Nationales Algériennes, p. 19.

[14]- FR CAOM 81F/73, Op.Cit, p.04.

[15]- Ibid.

[16]- Ibid.

[17]- Ibid,p.05.

[18]- Tayeb Belloula, Op.Cit, p.48.
[19]- FR CAOM 81F/73, Op.Cit,pp.05-12.
[20]- Ibid,p.06.
[21]04 أنظر الملحق رقم -. Ibid.

الملاحق:

الملحق رقم 1– صورة لروبير مونتانيي

الملحق رقم 2 – الغلاف الخارجي للكتاب الذي يحوي تقرير مونتانيي

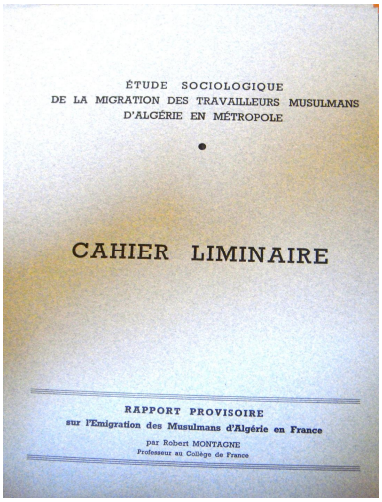

الملحق رقم 3– خريطة لمناطق الهجرة بالجزائر وضعت من طرف مونتانيي

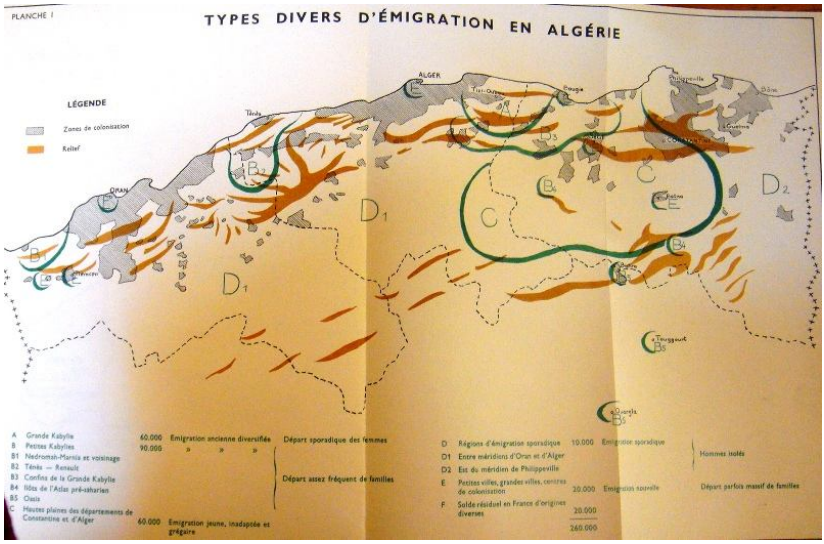

الملحق رقم 4– جدول توضيحي لتعداد المهاجرين الجزائريين بالعاصمة باريس سنة 1954

الدائرة	تعداد المهاجرين الجزائريين	نسبتهم مقارنة بالعدد الإجمالي لهم	نسبة النشطين الذكور للبلد الأم	نسبة المهاجرين الجزائريين
01	2 03	0 ,70%	12592	1 ,61%
02	323	1,10%	14638	2,27%
03	997	3,42%	21488	4 ,64%
04	796	2,73%	21377	3,72%
05	1752	6,00%	32180	5,44%
06	244	0,83%	23843	1,02%
07	155	0,5%	2795	0 ,55%
08	77	0, 26%	22268	0,34%
09	184	0,63%	30965	0,58%
10	454	1,55%	41421	1,10%

3,65%	66148	8,30%	2420	11
3,60%	48998	6,07%	1770	12
5,65%	53518	10,73%	3026	13
2,14%	52925	3,90%	1135	14
3,77%	76939	9,79%	2902	15
0,31%	54784	0,58%	170	16
2,12%	69008	5,03%	1468	17
4,49%	86050	13,26%	3867	18
7,33%	15603	12,98%	3784	19
5,26%	65185	11,79%	3436	20